

جورج ريستريبو : من المتحف الوطني للفنون إلى سوق الخضراوات



بقلم : كارلوس أ. لانزا

١١ تشرين أول ٢٠٠٥

في العام ٢٠٠٢، وبينما كنت في المتحف الوطني للفنون، أشاهد مختاراً أعمالاً من مختارات هندرواسية للفن التشكيلي، ذهلتُ بعملين فنيين من الحركة التعبيرية احدهما يحمل اسم " الرحالة " والعمل الآخر يحمل اسم " المساء ". هذان العملان كانا موقعين باسم فنان غير معروف - بالنسبة لي على الأقل- اسمه جورج ايفان ريستريبو والذي توقعته أن يكون كولومبياً. بعد أيام قليلة، وفي النص المرفق بكاتالوج المعرض والذي

خصص إهداؤه إلى الفنانة الهندرواسية ماريا تالافيرا. كتبت بعد تفكير مشترك مع الناقد رامون كاباليرو ما يلي:
" نحن نواجه تحديين فنيين لأحدث ما أجزه الفن أعمال ذلك الفنان أعلنه رائداً نشطاً للعمل الفني المسؤول " لم نجد كلاماً أكثر لقوله سوى خوفنا من رؤية هذين العاملين فقط.
والآن، بعد ثلاث سنوات ، لست آسفاً على تقيمي لهذا الفنان، وسأظل أكرر وصفي له بالفنان الناشط والفنان المسؤول.

أقول **ناشطاً**، لأنه منذ ذلك الوقت لم يتوقف عن العمل. تلك الأعمال لحقتها أعمال أخرى مثل " أرتك " و "الغطاء" التي شارك بها في دورة المعرض للعام ٢٠٠٤ . كان جورج من ضمن ١٤ فناناً اختيروا من بين ١٤٠ فنان تقدموا للمشاركة. في هذا العام قام بعمل استعراضى للعميان باسم " ما وراء الملموس " و عرض آخر باسم "ضوضاء" ، أما الآن فهو يقدم عمل " سوق الخضراوات"، ناهيك عن مشاركاته الدولية والجوائز التي أحرزها خارج الوطن.

وأيضاً أقول **مسؤولاً**، لأنه فنان واعٍ بكل معنى الكلمة عما يقدم من فن. مع أن نشاطه الزائد يضعه في دائرة الخطر التي حذرته منها في بعض مراحل عمله.

ذات مرة كنت سأخاطر و اكتب له رسالة، ولكنني بالنهاية لم أفعل ذلك؛ وفضلت الانتظار. واليوم أعلن ما كنت سأقول له في ذلك الوقت. كنت أود أن أقول أن عمليه "أرتك" و "الغطاء" جيدان ولكنها متممان لبعضهما إلى حد بعيد. خفت أن يقتصر فنه على مستوى الحساسة البصرية. ولكنني كما قلت سابقاً كنت قد فضلت الانتظار. كنت متأكداً أن جورج عاجلاً أم آجلاً سيكتشف سبلاً جديدة لمقترحاته الفنية. عندما شاهدت عمله "الغاز ايميليو" الذي شارك به في دورة المعرض للعام ٢٠٠٤ ، قلت في نفسي " هناك شيء يتحرك في تصور جورج الفني".

ما هي الأشياء التي لاحظتها؟ في المقام الأول نقل جورج اللوحة من الجدار إلى الأرض. وفي المقام الثاني، تحولت اللوحة من مجرد نتيجة اعتاد أن يضع جهوده للوصول إليها إلى وسيلة تعبيرية. وأما ثالثاً ومن دون التخلي عن اللوحة اكتسب عمله معالم فكرية مقيدة بالتردد، ولكن رغبته كانت صارمة بالتوجه نحو النصب الفنية **installations** والإيماءات التمثيلية. هذا التغيير في مساره الفني عززه بأعماله " **assembly in the galleys** " والتي من خلالها قام بتعريف معالجة تفاعلية في تشكيل خطابه الجمالي الجديد. كان ريستريبو يحضر للانتقال من الفن الشخصي والمبني على التقاليد

التصويرية إلى فن جماعي وتشاركي أكثر، ومبني على التقاليد الفنية الجديد المسماة حالياً بالفن المعاصر.

كتبت هذه المقدمة المختصرة لأبرهن أن عمل " سوق الخضراوات " ليس عملاً مرجحاً فحسباً، بل هو نتاج تسلسل منطقي لنشاط مستمر ومفتوح للتجربة.

مفاتيح " سوق الخضراوات "

"سوق الخضار" هو تنصيب فني رائع هدفه الأول نقل المتحف إلى السوق. هذا العمل الذي نتج عن نية مقصودة من جورج ، تم تمويله من قبل مؤسسة متحف الرجل الهندوراسي و بدعم من السفارة الكولومبية. وأود الإشارة إلى أن دعم المتحف لهذا المشروع كان سببه أنه جزء من فكرته " أي المشروع " . جورج أرى المتحف كيف أن شيئاً حياً و تفاعلياً و متكاملأ من ناحية اجتماعية، سيقدم المتحف على انه فكرة أو مفهوم أكثر من كونه مبنى!

هذا المفهوم هم تعريف للمتحف كجزء من الجمعية الاجتماعية الموجودة، حيث تندمج المقتضيات التاريخية والفنية مع الحساسية الجماعية . أما متحف الرجل الهندوراسي فقد جاء لأنه مهتم بالبحث في الفراغات والأماكن التي تشكل ثقافة المجتمع الهندوراسي.

أما هدف الفنان الآخر لهذا المشروع هو أخذ الفن إلى الأماكن العامة، ليجعلنا نرى أن الفن ليس فقط ما يعرض في فراغات المعرض الفارهة، بل هو حياة تجريبية، وهو قادر على احتلال جميع زوايا ونواحي الحياة الاجتماعية.

الحقيقة المجردة من خروج الفن إلى الشارع هو نقد جد ذاته وتساؤل عن ما هي وظيفة الفن؟ هذه التجربة في " سوق الخضراوات " تعزز العلاقات التواصلية، و تدع الفن يعرض وظيفته الكاملة . وهي أن المنتج الفني هو التواصل وليست التجارة المقترنة بقوانين السوق والمكاسب التجارية.

من المهم توضيح أن مقترحات ريبستريبو تحاول فقط تعديل الفراغ إلى معرض عادي ومألوف للأعمال الفنية. و ذلك عندما استبدل المتحف والمواقع التقليدية للمعرض بـ " سوق الخضراوات ". من وجهة نظره، مقترحه لم يقدم فناً نقدياً اجتماعياً أو فناً دراماتيكياً، انه ببساطة وفر مكاناً بديلاً للمعرض. وبالاعتماد على نية جورج، فإن العمل

المتحف يوضح وبشكل قطعي كيف أن هذا النوع من العمل يجعلنا نتبع تقاليد المعارض التي تقام في الأماكن المغلقة، من دعوات خاصة، وشرائط إعلانية عن العرض وافتتاح رسمي و تقديم الكوكتيل وباقي الإجراءات الشكلية. هو لم يذهب بعيداً عن وجهة نظره، لأن مقترحه الفني كان من يتضمن هذه المفاهيم كلها. إلا أن الحقيقة المطلقة من العرض في السوق هي فكرة تنقد الفن وتتساءل عن وظيفته الحقيقية!

المحاكاة الساخرة للإنتاج الاجتماعي

كان جورج يفكر في جعل فنه فناً فعالاً وظيفياً في السوق. فقد لاحظت أنه يوجد انسجام ما بين الفن والنتاج الاجتماعي، والتي أصبحت الآن موضوعاً للدراسات الكلاسيكية. وفوق كل هذا، فيجب علينا أن نتذكر أنه في البيئة التي تميل إلى رؤية النتاج الاجتماعي كتكريس نهائي للروحانيات - يمكن القول بأنه توجه ديني - غير آخذين بعين الاعتبار أن الفن يشكل جزءاً من النتاج الاجتماعي للأشياء وأن الفنان هو منتج هذه الأشياء والصور الذهنية كأى شخص آخر في خط التجمع الإنتاجي. يقول فستشر " الفن هو هيكل العمل والعمل هو نشاط إنساني بحت"، وبالتالي أود أن أقدم المحاكاة الساخرة الآتية:

- الفنان يأخذ انتاجه من شاحنة البك أب الخاصة به، والمزارع أو البائع يقوم بتزليل الفواكه من الشاحنة
- الفنان يحمل الصناديق المليئة بمنتجه البصري الخاص، بينما المزارع يحمل الصناديق المليئة بالخضار والفواكه.
- الفنان يجهز منتجه الفني ليتلاءم مع السوق " والذي هو مكان العرض" وفي الوقت ذاته فان المزارع أو البائع يعرض منتجاته في نفس المكان. كان جورج يطمح إلى مزج أعماله مع ألوان الفواكه، لذا ما كان بيده أن يفعل سوى استخدام نفس المكان الذي يستخدمه البائع والذي هو سوق الخضار. بمعنى آخر، إن عملية الترويج للمنتجين الفني والتجاري (الخضار والفواكه) كانت متطابقة.

العمل "الفنى" والبيئة: الخطاب البصرى

الآن دعونا نلقي نظرة على المقترح التشكيلي، ولكن في البداية يجب أن أوضح أن هذا ليس خطاباً عن الفاكهة. الفاكهة والخضراوات ليست سوى مصادر استخدمها الفنان لبناء إستراتيجيته البصرية، والتي تتألف من اندماج أعماله الفنية ببيئة السوق. العمل الفني تحول إلى أنواع من جلد الخرباء، يغير لونه حسب المناسبة الموجودة فيها. شكلت الفاكهة أكثر العناصر مناسبة لتشكيل هذه العملية البصرية، ولكن إذا نظرنا بدقة، سنلاحظ أن ريس تريبو أنتج أعمالاً فنية تتناسق مع بيئة السوق من حيث الأقمشة المستخدمة للرسم، والأشكال وضوء الشمس والسماء وحتى انه يتناسق مع الناس أنفسهم!!

أهم الخصائص التي تميز " سوق الخضراوات" هو الشفافية على الرغم من كونه سوقاً مليئاً بالمنتجات المحلية. إن فيه ترتيباً عفويًا، أينما تنظر تجد مجالاً للرؤية من جميع الزوايا. جورج الذي اعتاد على تقديم فنه بدعم مطلق، خرج بفكرة صحيحة للتعبير عن أعماله بدعم قليل على شكل شرائط ساهمت في الحفاظ على المنظور الواضح للسوق. هناك سمة ممتعة أخرى تشكل العلاقة بين العمل الفني والبيئة، هذه الميزة هي أن اللوحة الفنية تحوي منظومة فراغية تتوحد مع الشكل المنتظم الذي يرتب فيه البائعون بضاعتهم فيه في السوق، بكلمات أخرى ، إن النظام الموجود في اللوحة موجود أيضاً في مكان السوق والعكس صحيح.

الأعمال الفنية حية بألوانها مع الاهتزاز والبهجة المرتبطة بمكان السوق. أسلوب فنه يستمر ليشابه عمله " الغطاء"، أي انه لا يقدم العمل كشيء ملون فحسب، بل يتعداه إلى كونه تعبيراً حساساً عن ذلك الشيء باستخدام اللون، أنه لا يقدم الشيء بحد ذاته بل يقدم لون هذا الشيء. في " سوق الخضراوات ، قام بتغيير تقنيته. فإذا كانت " الغطاء" تميزت بتدرجاتها العبقرية، فانه في عمله " سوق الخضراوات" كان أكثر طبيعية واستخدم الصقل المسحوق الذي أضفى ظلالاً غامضة على لوحاته اكتسبتها من أثر الشمس والمطر. وجعلتها تبدو كأنها قطع بالية.

في محاولته لتحويل الدعم إلى نوع من المظلات، حيث ذهب الفنان إلى حد بعيد ليغسل ويقشر اللوحة، لتكتسب بعض أجزائها ملمس القماش القديم: قاسية و خشنة. حتى في تقنية " resolution" في الفن، لم يضع ريس تريبو أبداً منظور اندماج أعماله مع بيئة

السوق، هذا المنظور الذي – كما ذكرت سابقاً – مشتق من مفهوم عام جداً، ألا وهو نقل المتحف إلى الشارع، و نقل اللوحة الفنية إلى السوق، ونقلها أيضا بين الغبار والرمال وبين الشمس والمطر، وبين الطين والمساومة على البضاعة في البازار. بمعنى آخر، تغيير المعرض الفني إلى المظلات، التي يسميها البائعون أكشاكاً. ريستريبو جعلنا نرى أن المعرض الفني يمكن أن يكون كشكاً أو بسطة في سوق الخضار، حيث يباع الفن مع فرق وحيد هو أن المكون (الفنان) لديه بريق النخبة!!!

ترجمة : ديماء ابو عريضة

Translated by: Dima Abu-Arida – A R C H I T E C T –

Jorge Restrepo: From the National Gallery of Art to the farmers' market
Article about the Exhibit of Jorge Restrepo at the Farmers Market in Tegucigalpa, Honduras
www.jorgerestrepo.com